## دعوة الى... المكتبة العراقية

باسم عبد الحميد حمودي

حين كتب المغفور له أ.د. علي جواد الطاهر كتابه النقدي السيري عن (محمود احمد السيد) رائد القصة العراقية في الثمانينيات قدم امثولة حية لما ينبغي ان تكون عليه الدراسة التاريخية النقدية لحياة مبدع من المبدعين، وازعم هنا ان الكتابات العربية عن (السياب) و (الرصافي) و (الزهاوي) كانت الاكثر حضوراً في دراسة حيوات هؤلاء فضلاً عن شعرهم اذا استثنيت هنا كتاب الدارس عبد الحميد الرشودي عن حياة (الرصافي).

سقت هذه المقدمة لاقول ان الوقت قد حان لدراسة حيوات الشخصيات العراقية بعيداً عن الدراسات الاكاديمية التي تعتمد منهجية صارمة تبحث عن (الحقيقة) التاريخية المدونة في هذه الوثيقة او تلك، وليس معنى هذا اننا نستغني عن دراسة الوثيقة والمعاهدة والخبر والرأي والرسالة الشخصية فكلها استنادات معلوماتية تفيد في بناء دراسة جديدة للشخصية موضع البحث، وان هذا البحث المرجو ينبغي ان يكون طريا فيه عن الروح الانسانية الكثير مثل دراسة ستيفان زفايج عن (تاليران) ودراسة هنري تروياً عن (جيكوف) وسائر الدراسات الوثائقية التي تتمتع بذائقة انسانية ومعرفة بظروف عصر الشخصية موضع الدرس.

ان المجال واسع الان لدراسة مبدعين عراقيين في شتى انواع المعرفة وليس الادب الا جزءاً منها- والموقف السياسي امثال محمد جعفر ابو التمن - كامل الجادرجي - يوسف غنيمة - روفائيل بطي- نوري السعيد- جعفر الخليلي- ذو النون ايوب - حسين الرحال- بنت الهدى - محمد الصدر - صالح جبر - عمر علي - علي الحجازي - علي البزركان - انستاس الكرملي- علي جودت الايوبي- فهد - مصطفى البارزاني - الشيخ محمود الحفيد - طالب النقيب - عبد الحميد العلوجي- د.مصطفى جواد وغيرهم من رجالات الفكر والسياسة مع عرض مالهم وماعليهم ضمن ظروفهم، وينسحب هذا المشروع الخاص بالمكتبة العراقية على الفنانين والمبدعين والمعماريين الذين اثروا عن طريق الفن في ذائقة الاجيال امثال : حقي الشبلي- عزيز علي - كامل العبلي - ياس علي الناصر -يوسف العاني- جعفر السعدي -كاميران حسني -قاسم حول-رفعت الجادرجي- محمد مكية - زهاء حديد- علي ثويني - سيف الدين ولائي - عبد الكريم العلاف وغيرهم كثير.

ان التخطيط لهذا المشروع ينبغي ان يتم بأناة والا يتأخر كثيراً معاً وان يكون التكليف بالعمل بعد دراسة المكلف وقدرته على الوفاء بدراسة الشخصية موضع الدرس وذلك لكي نبني مكتبة عراقية عن شخصيات هذا الوطن الجديرة بالاهتمام من دون هوى ولاتحيز ولارفض مسبق.

# الخلوة...تجربة مسرحية عراقية في مسرح سويدي

غالب حسن الشابندر

السويد

قراءة في مسرحية "الخلوة"، اقيمت على مسرح (MAF)في مدينة مالمو بتاريخ ٢٠٠٥,/٤/١ تمثيل واخراج الفنان العراقي حسن هادي، بالاشتراك مع فنانين سويديين: الممثلة اوسا اهلاندير ...Sa Ahlanderويوناس هليمان .Jonas Hellman والنص معد عن قصائد للشاعر عدنان الصائغ مأخوذة من ديوانيه "تأبط منفى" و "الكتابة بالأظافر".

من الفنانين المسرحيين من يستحوذ بقدرته على (التمثيل)، فيما هناك من يستحوذ عليه (التمثيل) بسحره وملكوته، وفارق بين الحالتين، فارق نوع لا فارق درجة، فالنموذج الاول يطوع الفن، وربما يستهلكه، وطالما يخرج من مملكة العفوية التي أعدها من علامات التمثيل الناجح، ولكن النموذج الآخر يعتصره الفن، يتلاعب بروحه وعقله، يستعمره، ويستذل فيه ذكرى كونه حقيقة تمشي على الأرض! الفنان حسن هادي في عمله الأخير (الخلوة) كان مصداقا رائعاً لنموذج الخضوع الداخلي للفن، على أنه خضوع الواعي، وليس خضوع المقلد، أو المخدر بسحر الوظيفة.

فنان من هذا النوع يخلع وجوده، يمر بمرحلة جنون حقيقية، فإن التخلي عن الذات، والانسلاخ عن التاريخ عملية لا تمت بصلة الى الممكن الطبيعي، فكيف اذا أراد أن يكون حقيقة واقعية اخرى؟ حيث يعبر في هذه الحالة دائرة التمثيل ليدخل في دائرة ذات جديدة.

ينبسط الجسد وينكمش بحساب محكوم على وفق فضاء الفكرة التي هي اكبر من النص، حتى لتحسب الحركة موازية للنص، وليست تابعة له.

كل جزء من اجزاء الجسد كان ممثلاً قائماً بذاته، وكل حركة من حركات الجسد كانت تحكي موقعاً من مواقع القضية المطروحة، الحركة كانت تضفي على النص فلسفته، وليس العكس.

### دوائر الحيرة

حيرة الوجود، ذلك السؤال الذي مازال عالقا، وسيبقى خالد الفعل في مملكة الروح، هذه الحيرة كانت حاضرة في صميم النص،ولكن لتضم في طياتها المبهمة حيرة الخلق، خلق الانسان، ثم حيرة ذلك الانسان الذي كتب عليه التاريخ قدر الغربة القاسية، غربة الوطن، وغربة الأهل، وغربة الحضارة، وغربة الجغرافية. فالنص كان مجموعة دوائر من الحيرة التي تماسكت من الداخل ليتفجر السؤال الكبير (أيها الرب اذا لم تستطع ان تملأ هذه المعدة الجرباء التي تصفر فيها الريح والديدان فلماذا خلقت لي هذه الأضراس النهمة؟ واذا لم تبرعم على سريري جسدا أملوداً، فلماذا خلقت لي ذراعين من كبريت؟ واذا لم تمنحني وطناً آمنا، فلماذا خلقت لي هذه الأقدام الجوالة؟ واذا كنت ضجراً من شكواي، فلماذا خلقت لي هذا الفم المندلق بالصراخ ليل نهار؟).

دوائر الحيرة هذه تجد صداها في أداء الفنان حسن هادي، فقد سادت الحركة الدائرية خشبة المسرح بدرجة واضحة، وهي حركة مقصودة، أسسها المخرج باحكام وتقنية جسدية بارعة، تنوعت بين اللين والشدة، وكأنها تكشف عن سؤال يبحث عن جواب غير مأمول! تارة حركة دائرية شخصية، يتكفل بها جسده المعبر، وتارة مع العاشقين السويديين اللذين جمعها معه القدر العابر، حركة دائرية سريعة، محمومة، تتلظى من داخلها كلمات النص وهي تصرخ من لوعة السؤال عن السبب في كل ذلك.

دوائر الحيرة هذه ترجمها الفنان حسن هادي بتلك الحركة المتعاكسة التي تقاسمت الجسد بين صدر متجه بكل ثقله الى الامام، وبين ظهر يجنح الى الانفصال عن الجسد، تساعده على ذلك ذراعان هائمتان في الفضاء الخلفي للجسد.

دوائر الحيرة هذه حاول الجسد التائه ان يعالجها بالعبث، بالصراخ، بالقبلة الهوائية التي تمناها ان تمرعلى وجه تلك السويدية الرائعةالتي كانت محجوزة حضاريا لمن يشاطرها التاريخ والجغرافية.

### وداعا ايها الامل

ما معنى ان يشرع الفنان بقضاء حاجته في مرحاض سويدي نظيف يتلألأ بياضا؟

كانت تلك هي البداية، وفي تصوري هي البداية الحقيقية للعمل، وليست تلك الجولة من الحب و الدلال بين العاشقين السويديين خلف الاستار البيضاء...

لم يكن يريد قضاء حاجته، بل كان ذلك اشعاراً من البداية باستفراغ الوجود، لفظ هذا الوجود العفن، توديعه في أقذر مكان عرفه التاريخ البشري، يلفظه من ثغرة كانت ومازالت مثار الاشمئزاز والقرف.

ما قيمة حياة هي اشبه(بالضراط المتقطع) هل مكانها غير هذه الحفرة النتنة؟ وما قيمة حياة تجعلني سلعة للنظر بغية التعرف على قانون التخلف في التاريخ؟ (انه الجهل، انه الفقر،الخوف الذي جعل العيون الزرقاء تحملق كثيرا بالشعر الأسود)؟

### مفارقة الجسد

بكتسب فن العلاقة الجسدية في ظل الحرية ابعاده المتحركة بكل سيولة وشفافية وحرارة، علاقة تفتش عن روادها، وكلها شوق ولهفة لممارسة حقها من الحياة، هناك تلتحم الأجساد وتلتهم الروح غذاءها من نظيرها بنهم ملغز بسر الالوهية، هكذا كانت مضاجعة الحب بين عاشقين متنعمين بدفء الحرية، فيما كان الغريب يفتش عن علاقة على الأرصفة، ولكن من دون جدوى، كان يزحف مضاجعا، ولكن من دون جسد يلتهم فورة الجحيم المتلظي في جوفه، جسده كان كرة من صخب غير واع، لهاث على الارض، يزحف في فضاء من الوهم، يضاجع بحركة متعثرة على أرض لا تعرفه، إنها المضاجعة في غياب الحرية!

خرج من العراق يفتش عن قبلة حيوية تعيد له ذكريات الوطن قبل ان يقتل، ولعمق حاجته تخدعه صدفة منحدرة من عمق تاريخ ليس ملكه، يهيم بتقبيل العاشقة الجميلة، ولكنها قبل قليل كانت تعانق نظيرها بحرارة الجسد الملتهب برغوة الأمن الروحي الأزلي، فما لك من نصيب في هذا العالم المجهول يا (غريب)، فلتت القبلة من فمه لتهوى على عشب ليس له فيه من نصيب ابدا، فيما تهرع العاشقة لتلتصق بجسد يمازجها نشوة الوصال الحار، وهناك تهدأ اعصاب وتهيج ذكريات (ان القبل الساقطة كقطرات المطر، سرعان ما تجف)، فلم يعد للغريب غير ان يفرغ آلامه بتلك الحركة الغاضبة اليائسة (يسحب سيفون المرافق الصحية ليحدث دويا يصم الآذان، ينجرف ماء كأنه طوفان...)، أنه طوفان يكسح الظلم العتيد من الأرض.

قالت: انتم لا تحبون الحياة.

قال: أنتم لا تحبون حتى الحب.

أين الغريب من كل هذا الوخز الخفي؟

يتهاوى من داخله تائها في صحراء ألفتها وحشة الأزل، لم يكن هناك غير البله، ولم يكن غير التكور على الذات، يخفي كل جسمه داخل جسمه، ليحمي ما تبقى من ذكرى تشعره بالوجود الساذج فقط.

قالت: الغرب اختصر الزمن والمسافة.

قال: وبهما ايضا اختصر العمر والرحيل.

اين الغريب من هذا السجال المترهل لشدة وكثافة السعادة التي تغمر جسديهما المتلاصقين بالفضاء رغم قسوة القرن العشرين؟

جمهرة الجنود الخصيان تقوده مكبل اليدين لأنه رقص بسبابته خفية!

يتضاجعان علنا!

يضاجع ترابا يعج بذكريات أنجبت الأجساد التي تستحق شهقة الحياة الدسمة، وزفرة الشهوة الخالدة.

حتى ترابهم يرفض مضاجعتنا له!

حتى التراب!

ذاك أن اجسادنا تشبعت بروائح الاجساد المتعفنة في كل شبر من أشبار العراق.

كان الفنان مجيدا، يتحرك للأمام، يفتش عن الجسد الضائع، يشم رائحة جسد قريب، ولكنها رائحة لا ترضانا، ولا ترغبنا، فهل كان زحفه للأمام ببله وشبق وجوع بحثا عن جثة من جثثنا المرمية على قارعة الموت المخيف؟

ذلك جسدها.. قريب المسافة بعيد المنال... وهذا جسدنا... بعيد المسافة قريب المنال... هناك شهوة ودعة وفضاء، وهنا تراب ودم وموت...

### ويبقى العراق

لم يكن للقلب من مادة تعبر عن حضوره ملتحما بالعراق غير أوراق (التواليت) البيضاء! هل لأنها ذات مصير مهمل؟ ام لانها سهلة الحصول والتقطيع والتمزيق؟ ام لانها قيمة لا تتعدى الظاهر الابيض الخادع؟

وفي الوقت الذي تحتل فيه احدى قدمي عاشق من خارج الحدود موطن الحياة من هذا القلب صدفة أو حبا، يغادر ابن الوطن خارطة الحب، ليهرب الى جهة مجهولة، يطلب لجوءاً أخرق، فكم هي مفارقة مؤلمة هذه، فالعراق (يبتعد كلما اتسعت في المنافي خطاه).

كان الفنان المخرج موفقاً الى حد مدهش، وذلك في تماهيه بين وطن من تراب عريق من جهة، وبين قلب من ورق سيموت بعد حين، بل من ورق سوف تتناوله سيوف الحقد بالتقطيع، باسم اشرف خلق الله، محمد وعيسى وموسى، سلام الله عليهم جميعاً.

### الخشبة الدائرية

هل كانت خشبة المسرح وفية للنص وجوهر المشكلة وحركة الأداء؟ في تصوري ان خشبة المسرح ذات المنحى الدائري غير المكتمل اجدر من غيرها للتوافق مع فلسفة النص، والتوازن مع صميم القضية، وبالتالي، تتآلف مع وقع الاداء الذي نال منه الشكل الدائري حصة الأسد، فإن الشكل الدائري قلق، يعبر بجدية عن حيرة الفكر وحيرة الموقف وحيرة المصير وحيرة الوجود، على الرغم من أنه أجمل الأشكال كما يذهب فلاسفة اليونان.

كان الشكل الدائري يتحكم في النص (حيرة الوجود والخلق والغربة)، وقد سيطر على المشهد بنسبة كبيرة من مساحتي الزمان والمكان، فكان من الأولى أن تنسجم خشبة المسرح مع هذا الجاهز من عناصر العمل. ولم أجد خيراً من قطع القماش الأبيض التي علقت على جدار الخشبة لتعبر عن خواء الغريب، وتصحر رحلته القهرية الى خارج الوطن، وتذكر بكفن الموت المعنوي. ينحدر عمق المأساة من جهة الخشبة الخلفية، التي نظمتها صفوف متتالية من تلك القطع الخام، فقد كانت صفوف هذه القطع المتتالية تؤسس نظرة مستجلبة للأمام، ومن هناك تنحدر مأساة آتية على وقع ساخن من القدر، قدر يوحي الشكل بأنه محتوم، ومن هنا، كانت حركة العشق خلف هذه الصفوف مؤقتة بالنسبة للقضية كلها.

### وكان حقيقة اخرى

اذا كانت علاقة المشاهد بالمسرح متعة في أغلب الاحيان، وعلاقة المخرج بهذه الخشبة تتجسد بالوفاء للنص قبل أي مقترب آخر، وعلاقة الناقد بهذا العالم التحليل والتقييم، وعلاقة الكاتب هي الخلق، فما هي علاقة الممثل بالمسرح ياترى؟

أتحدث عن الممثل الذي سحره الفن من الداخل، عن الفنان الذي استحوذ عليه سحر التمثيل وملكوته.

لا علاقة!

عدم!

لم يكن حسن هادي فناناً ماهراً، بل كان فناناً حقيقياً، فالمهارة تداخلها الصنعة مهما كان صاحبها مخلصاً لها، فيما الحقيقة سجية تتماشى مع واقعها المفطورة عليه، لم يكن مشغولاً مع دوره، بل كان مشغولاً مع نفسه بل مشغولاً بنفسه، فمات الدور، وحل مكانه الواقع.

لقد انسلخ حسن هادي من تاريخه الشخصي، اندرس اسمه، تغير دمه، نبت له لحم جديد، رحلت روحه الى عالم النسيان، وبالتالي، ليس له علاقة بالمسرح ابدا، نعم، لم يعد هو ذاك، بل هو غيره، هو الغريب، هو الهارب من الوطن.

وهكذا يكون الإبداع.

# مقصلة عجوز

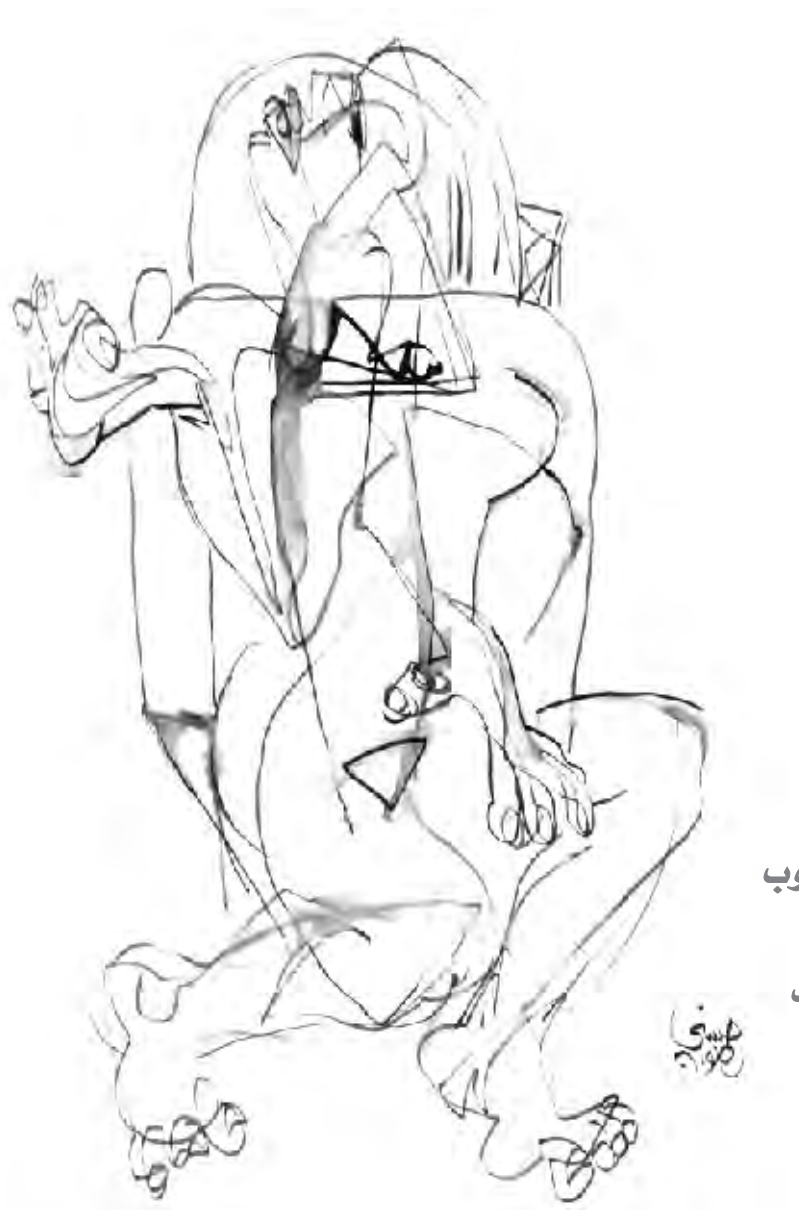

أحمد سعداوي

-١-

خلف غيمة الذباب
يوجد طفل
اكل الحلوى قبل قليل
خلف الغيمة ذاتها..
توجد جثة منسية
تتذكرها الطبيعة فحسب

-٢-

خلف الباب
أناس ينتظرون الخروج
او الدخول
لسنا وحدنا
من يحمل العداء لهذا الباب
لسنا وحدنا
من يحتاج هذا الباب
كي يشعر بالعداء
كي يختزل الخوف والرغبة
حتى يغدوان خشباً اليفاً
لسنا مسجونين فحسب
اننا نغلق الابواب
في وجه خوفنا ايضاً
حتى لايفر

-٣-

دون تلويحة
او دون كف
دون ان تنتظر الموت
او لاتنتظره..
تقف بك الحياة فجأة
دون ان تعني ان تقف
ودون ان تعرف.. ان الحياة
لاتعرف..
دون كفن.. او أناس
يحملونه.. او يحملونك
ودون دمعة مرافقة..
او تحثو عليك نعاساً مبكراً
دون جلجلة او شهادة
أو بريق رعد الختام
او هلوسة افتتاح المجهول
دون انت
او انا
دون كلمات
يبتدئ او يختتم -بانعدامك-
كل شيء.

-٤-

افكر بالفرار
مثل (مجرد) كائن حي
فالموت..
مازال مشكلةً تحتاج للحل
ساكرر-دون خزي لامبرر له-
مافعله الاسبقون:
قفزة مؤلمة من الشمال الى الجنوب
(هذه حياتي اذاً)
او.. الى جنوب الجنوب..
الامر يتعلق.. بنظرتي للخرائط
احمل في حقيبة جسدي
مايستحق الانقاذ:
وهم الفرار
وطمأنينة النجاة